المفاهيم و المصطلحات الأساسيّة في البحث العلمي

يعَد البحث العلمي أحد المقومات الأساسية للحضارة والتقدم فهو تلك الوسيلة التي يستخدمها الإنسان لإعمال العقل والحواس وجميع الملكات من أجل فهم حقيقة الظواهر الطبيعية والاجتماعية التي تَحدث من حوله من أجل تسخيرها لخدمته.

ولا يمكِن لدراسة البحث العلمي أن تَكون شاملة وواسعة وغير محددة المعالم، فأساس دراسة البحث العلمي يَقوم على دراسة ظاهرة محددة أو مكلة معيَّنة، ذلك أن اتساع مجال الظاهرة يعني احتمالية وجود الكثير من المتغيرات التي يَصعب على الباحث تجميعها أو معالجتها أو دراسة أثر كل تغير منها.

يستخدم الباحث عادة مجموعة من المصطلحات التي قد يسيء البعض فهمها أحيانًا بغير الدلالة المقصودة بالدراسة، وفي أحيان كثيرة قد تتعدد معاني هذه المصطلحات في المجال الذي تقع فيه مشكلة البحث، ولهذا يلجأ الباحثون في ميدان البحث إلى تحديد معنى هذه المصطلحات بدلالة أهداف الدراسة وإجراءاتها، وهذا ما يتم الإشارة إليه في لغة البحث العلمي بالتعريف الإجرائي لمتغيرات الدراسة؛ فلو كان الباحث يجري دراسة بعنوان: أثر استراتيجيات الإبداع الجاد في تنمية التفكير المتوازي والتحصيل الدراسي في مساق مهارات التفكير لدى طالبات الجامعة؛ فيمكنه صياغة المصطلحات الآتية: استراتيجيات الإبداع الجاد، التحصيل الدراسي، التفكير المتوازي، طالبات الجامعة.

وتكمن فائدة المصطلحات الإجرائية في البحث العلمي في كونها تمكِّن الباحثين من قياس المفاهيم المجردة البنائية، إضافة إلى أنها تتيح لهم التقدم من مستوى المفاهيم البنائية والنظرية إلى مستوى الملاحظة التي يستند إليها المنهج العلمي، كما تساهم المصطلحات الإجرائية في توجيه الباحثين إلى الاستمرار في منهج الاستقصاء الذي يتعذر القيام به دون الاستناد إلى التعريفات الإجرائية.

كما تعَد مصطلحات البحث والتعريفات الإجرائية الخاصة به من أهم محددات الدراسة البحثية، مثل مفاهيم التحصيل والذكاء والدافعية والتفكير، إذ أن هذه المصطلحات يمكِن أن تَحمل في طياتها معانٍ ودلالات معيَّنة، ولكن من خلال تعريفها إجرائيًا يمكِن أن يتم تعميمها ضمن حدود هذه التعريفات.

تعريف مصطلحات البحث العلمي:

هي مجموعة من المفاهيم التي يَقوم الباحث بصياغتها تتعلق بالفكرة الأساسية للبحث، وهو يكشف عن الوجه النسقي للمفاهيم، ويقدِّم تصور كامل لمختلف أبعاد المفهوم، ويضبط ماهيات المفاهيم العلمية، وهو بناء دلالي للمفهوم الخاص.

الفرق بين المصطلح والمفهوم:

يختلف المفهوم عن المصطلح في تركيز المفهوم على الصورة الذهنية بينما يركز المصطلح على الدلالة اللفظية لذلك للمفهوم، أيضًا أن المفهوم يُعتبر أسبق من المصطلح فنستنتج من ذلك أن كل مفهوم مصطلح وليس كل مصطلح مفهوم، وأن المفهوم هو مضمون كلمة المصطلح.

أهمية تحديد تعريفات مصطلحات البحث العلمي:

من المهم توضيح المقصود بالمصطلحات المستعملة بالبحث حتى لا يسيء أحد فهمها أو يتم فهمها بدلالة غير الدلالة الواردة في هذه الدراسة، وكثيرًا ما تتعدد المعاني المستخدَمة في الدراسة، وقد يتم تحديد هذه المعاني بطريقة إجرائية (Operational)، أي بدلالة الإجراءات والبيانات والأدوات الخاصة بهذه الدراسة ويساعد تعريف المصطلحات في وضع إطار مرجعي ليستخدمه الباحث في التعامل مع المشكلة الخاصة بالبحث.

وقد يتبنى الباحث أحيانًا تعريفًا لبعض المصطلحات يستعيره من قاموس معيَّن أو من دراسة سابقة، وفي هذه الحالة ينبغي على الباحث أن يشير إلى ذلك القاموس أو تلك الدراسة بطريقة واضحة.

أنواع تعريفات مصطلحات البحث العلمي:

أولًا :التعريف القصدي: وهو التعريف الذي يُعبر عن عدد من الأجناس المحددة والأنواع المميزة للمفهوم عن غيره من المفاهيم التي تتفق معه في السياق الواحد للسلسلة المفهومية، والمراد بالأجناس هي الخصائص المشتركة بين مفاهيم المجموعة الواحدة .

ثانيًا: التعريف الوظيفي: هو تحديد المعرف بوظيفته وعلاقاته بالإضافة إلى أنواعه.

ثالثًا: التعريف الامتدادي: هو التعريف الذي يهدف إلى تحديد الموضوعات التي تتعلق بمستوى المفهوم أو الأنماط التي تندرج تحته .

رابعًا: التعريف السياقي: هو التعريف الذي يعتمد على ذكر المثال على الاستعمال الفعلي للمفهوم، أي بمعادلة ضمنية.

خامسًا: التعريف بالاختصاص: هذا التعريف يعتمد على وصف الخصائص المميزة لمفهوم المصطلح أو موضوعه .

سادسًا :التعريف بالمكونات: يهدف هذا التعريف إلى وصف المصطلح عن طريق ذكر مكوناته، ويتوافر هذا النمط من التعريفات بكثرة في المؤلفات التعليمية .

سابعًا :التعريف بالقسمة: هو تحديد مكان المفهوم خلال السلسلة المفهومية التي ينبثق منها، وربطه بما يتعلق به من مفاهيم غير رئيسية تمثل في مجموعها جميع أقسام التعريف وفروعه.

عيوب صياغة المصطلحات:

هناك بعض الأخطاء التي يقع فيها الباحثون عند صياغة المصطلحات، منها:

-عدم التمييز بين الكلمات المترادفة: المترادفات هي الكلمات المختلفة التي تُعبر عن معنى واحد، وذلك الترادف ينتج عنه عدد من المشكلات والأمور السلبية، وذلك بسبب أنها يستخدمها العامة على تُعبر عن الدلالة نفسها وأدى ذلك إلى التأثير بشكل سلبي على فهم واستيعاب التفاصيل الدقيقة.

-عدم تحري الدقة العلمية في صياغة المصطلح: ذلك أن المصطلح العلمي لا بد وأن يخضع للمنطق وإمكانية البرهنة عليه حتى يمكِن اعتماده كمصطلح علمي يُعتمد عليه.

-عدم اتصاف التعريف بالموضوعية: ذلك أن مجال البحث العلمي يُعتبر مجال موضوعي بحت لا وجود للمجاملات الشخصية أو الدعاية مكان فيه، حيث يهتم بمشكلةٍ ما ويقوم بدراستها ووضع تعريفات للمصطلحات التي ترتبط بها .

-تساهل الباحث في وضع التعريف الإجرائي ذلك أن التعريف الإجرائي هو الذي يُعبر عن توجه الباحث تجاه الدراسة العلمية، كما أن له دورًا كبيرًا.

-أن يسرد الباحث تعريفات مختلفة ولا يستقر على المعنى الذي يتبناه في بحثه.

-أن يتبنى تعريفات من مصادر غير معروفة وغير مشهود لها بالدقة العلمية.

-أن يُكثر من المصطلحات بدون داعٍ حيث أن كثيرًا من المصطلحات أصبح بديهيًا لا خلاف عليها؛ مثل أن يُعرف الباحث مهارة من مهارات اللغة أو أسلوب حل المشكلات.

-ألا يحدد التعريف الإجرائي للبحث؛ ذلك أن التعريف الإجرائي يحدد وبدقة ماذا يقصد الباحث بالمصطلح في سياق رسالته .

أنواع التعريفات من حيث الاتفاق والتناقض:

والمصطلحات العلمية تَكون في معظم الأوقات متشابهة ومتقاربة وتتفق على أساس واحد، وفي بعض الحالات تَكون غير متفقة بل قد تصل إلى درجة الاختلاف الكبير أو التناقض.

فمثلًا إذا نظرنا إلى تعريف "الشخصية" و"الميل" في علم النفس، و"التحصيل" و"المنهج" في التربية، و" الديمقراطية" في علم السياسة.. إلخ، فإننا سوف نتوصل إلى عدد كبير من التعريفات المختلفة وأحيانًا المتناقضة عند محاولة رصد كل ما تم كتابته في هذا المصطلح من تعريفات وشروح وحدود.

ما يجب على الباحث مراعاته أثناء صياغة المصطلحات:

-أن يتبنى تعريفًا واحدًا من التعريفات المتعددة لهذا المصطلح، ومن ثم يتوجب على الباحث تبرير ذلك الاختيار والدفاع عنه.

-أن يضع الباحث تعريفًا خاصًا به لهذا المصطلح، وفي هذه الحالة يتوجب عليه أن يبرر تعريفه وعدم أخذه للتعريفات الأخرى، وأن يجعل كل ما سيلحق من مفردات دراسته متناغمًا تمامًا مع تعريفه لذلك المصطلح.

-على الباحث أن يردف مصطلحه بالمصطلح الأجنبي الذي قام بتعريفه -هو أو غيره -جنبًا إلى جنب مع المصطلح بلغته العربية أو اللغة التي يتم كتابة البحث بها، فليست التعريفات مختلفة وحدها، إنما أيضًا الترجمات متباينة ومتعددة أيضًا.